University of Zawia-Faculty of Arts Journal (UZFAJ)
Volume 26, Issue 1, (2026), pp.280-293, ISSN: 2521-9235

The Role of Merchants and the State in Markets Regulating in West Africa During the Period from 3-10 AH / 9-16 AD

Jamila Abu al-Qasem

Department of History, Faculty of Education, Zawia, University of Zawia, Zawia, Libya

Email:jabulgasem@zu.ed.ly

Received 18 /01 /2026 | Accepted 08 /03 /2026 | Available online 15 / 03 /2026 | DOI: 10.26629/uzfaj.2026.16

Abstract

This research examines the role of merchants and the state in regulating markets in West Africa during the period from the 3rd–10th centuries AH / 9th–16th centuries CE. Its central problem focuses on how merchants and major kingdoms contributed to controlling commercial activity and ensuring its continuity, despite only passing references in historical sources. The study explores the regulatory mechanisms adopted by the empires of Ghana, Mali, and Songhai.The significance of the research lies in filling a gap in studies that have addressed the history of trans-Saharan trade without focusing on the internal organization of these markets or on the distinguished social and economic status of merchants as the "backbone" of the economy and society.

The study adopts a descriptive-analytical historical approach by collecting data related to commercial activity from primary and secondary sources, then comparing and analyzing them to reveal the nature of economic relations and the mechanisms of market administration within the spatial framework of West Africa and the temporal scope of the study period.

The findings demonstrate the diversity of markets, ranging from local daily markets to regional periodic markets and specialized international markets (such as gold and salt markets). The study shows that commercial prosperity was not merely the result of abstract economic factors; rather, it emerged from an integrated interaction between geographical features, merchant networks, and political authority. Merchants occupied a prestigious social position and exercised economic influence, contributing to the organization of markets, the development of systems of measurement, weighing, and accounting, and the consolidation of commercial ethics. Meanwhile, the state assumed responsibility for securing trade routes, protecting caravans, implementing the hisbah system, and regulating taxes and customs duties. This led to the establishment of a stable commercial system that strengthened West Africa's position as a prominent economic center within the Islamic world.

Keywords: Merchants, State, Markets, West Africa, Trade Networks, Commercial Centers, Hisbah.

"Articles published in *Univ Zawia* Faculty Arts J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License

دور التجار والدولة في تنظيم الأسواق في غرب إفريقيا في فترة من القرن 3-10هج/ 9- 16م

جميلة أبو القاسم

قسم التاريخ، كلية التربية، الزاوية، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا

تاريخ الاستلام:2026/01/18 **تاريخ القبول:2026/03/08** **تاريخ النشر: 2026/03/15**

ملخص البحث

يتناول البحث دور التجار والدولة في تنظيم الأسواق بغرب إفريقيا خلال الفترة من القرن 3-10هـ/9-16م، وتتركز إشكاليته حول كيفية إسهام التجار والممالك الكبرى في ضبط النشاط التجاري وضمان انسيابه رغم الإشارات العابرة في المصادر التاريخية، وتجادل الآليات التنظيمية التي اعتمدتها إمبراطوريات غانا ومالي وصنغي؟ من هنا جاءت أهمية البحث في سد فجوة الدراسات التي تناولت تاريخ التجارة الصحراوية دون التركيز على التنظيم الداخلي لهذه الأسواق أو المكانة الاجتماعية والاقتصادية المرموقة للتجار كـ"عمود فقري" للاقتصاد والمجتمع. اعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي من خلال جمع المعطيات المتعلقة بالنشاط التجاري من المصادر والمراجع ثم مقارنتها وتحليلها لكشف طبيعة العلاقات الاقتصادية وآليات إدارة الأسواق خلال الإطار المكاني لغرب إفريقيا والزماني لفترة البحث. تظهر نتائج الدراسة تنوع الأسواق بين يومية محلية ودورية إقليمية ومتخصصة دولية (سوق الذهب والملح)، وبينت أن ازدهار التجارة لم يكن وليد عوامل اقتصادية مجردة، بل نتج عن تفاعل متكامل بين الخصائص الجغرافية وشبكات التجار والسلطة السياسية، حيث احتل التجار مكانة اجتماعية مرموقة وهيمنة اقتصادية، وساهموا في تنظيم الأسواق وتطوير نظم القياس والوزن والمحاسبة وترسيخ أخلاقيات المعاملات التجارية، بينما تولت الدولة تأمين الطرق التجارية وحماية القوافل وتطبيق نظام الحسبة وتنظيم الضرائب والرسوم الجمركية، مما بنى منظومة تجارية مستقرة عززت مكانة غرب إفريقيا كمركز اقتصادي بارز في العالم الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التجار، الدولة، الأسواق، إفريقيا، المراكز التجارية، الحسبة.

المقدمة:

شكلت التجارة العصب الحاكم لاقتصاديات غرب إفريقيا خلال الفترة من القرن 3-10هـ/9-16م حيث تحولت المنطقة إلى أحد أبرز المراكز التجارية العالمية. ولم يكن هذا الازدهار وليد الصدفة، بل كان ثمرة تنظيم دقيق للأسواق شاركت فيه قوتان رئيستان؛ السلطة الحاكمة (ممالك غرب إفريقيا) ومجتمع التجار. ولهذا، يعد تحليل طبيعة هذا الدور المشترك وأدواته محور أساسي لفهم التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لإقليم غرب إفريقيا الذي شهد في فترة البحث تحولات اقتصادية وسياسية كبرى، جعلتها أحد أبرز المراكز التجارية في العالم القديم (Levtzion,1973,p.20). وقد لعبت الممالك القوية مثل مالي صنغي دوراً محورياً في تنشيط التجارة العابرة للصحراء وربط المنطقة بشبكات التبادل الإقليمية والعالمية (جوان، 1984، ص 38-71) . وفي قلب هذا النشاط الاقتصادي الحيوي، برزت الأسواق كمؤسسات مركزية، لم تكن مجرد أماكن لتبادل السلع، بل فضاءات معقّدة تنظم فيها تدفق البضاع والأفراد والمعلومات (الإدريسي، 2002، ج2، ص 23). وكان التجار، ولا سيما المسلمون منهم، قوة فاعلة في هندسة هذه المنظومة، حيث أدخلوا أساليب متطورة في إدارة الأسواق ونظم المحاسبة والمقاييس، وساهموا في دمج الاقتصاد المحلي بالشبكات التجارية الإسلامية الأوسع، حاملين معهم السلع والأفكار كما جادل كان (2019، ص 134-142). وتجلى دور الدولة في هذا التنظيم من خلال فرض الأمن على طرق القوافل، ووضع المعايير، وجباية الضرائب، والإشراف المباشر على الأسواق الكبرى لضمان أمنها واستقرارها وكفاءتها.

كما تولت ممالك غرب إفريقيا تنظيم البنية التحتية للنشاط التجاري والتي من أهمها تأمين شبكة الطرق التجارية الواسعة، والتي كانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع: طرق محلية ربطت القرى والبلدات، وطرق إقليمية وحدت بين الممالك المختلفة، وطرق دولية كبرى عابرة للصحراء ربطة غرب إفريقيا بشمالها وبالعالم الإسلامي. وانطلقت العديد من هذه الطرق من السواحل، مرورًا بالمناطق الداخلية، ثم اتجهت نحو الشمال، مما جعل المنطقة جزءًا من شبكة تجارية عالمية واسعة (Church & Harrison, 1966, p. 22) Levtzion, 1971, pp. 120-157).

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن آليات وآثار هذا التنظيم الثنائي (دور الدولة ودور التجار) للأسواق التجارية في غرب إفريقيا في الفترة من القرن 3-10هج/9-16م. ويجادل تنوع الأسواق (من المحلية اليومية إلى الدولية الاستراتيجية)، وطرق إدارتها، لفهم كيفية تفاعل القوة السياسية مع المبادرة الاقتصادية الخاصة في صياغة نظام تجاري استمر لقرون من الزمان وأسهم في الازدهار الاقتصادي والاجتماعي للحضارات التي قامت في هذا الإقليم.

إشكالية البحث: على الرغم من الأهمية البالغة للأسواق في غرب إفريقيا خلال فترة خلال فترة البحث، باعتبارها مؤسسات اقتصادية واجتماعية وثقافية أسهمت ليس فقط في ربط هذا الإقليم بشبكات التجارة العابرة للصحراء، بل تحول سكان هذا الإقليم من الوثنية للإسلام، فان موضوع التجار والدولة ودور كلاً منهم في تنظيم هذه الأسواق، والأليات التنظيم تظل من الموضوعات البكر في حقل الدراسات الغرب إفريقية، والتي لم تتعرض لها كتب الرحالة والمؤرخين إلا بشكل عابر. ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسة لهذا البحث من خلال طرح السؤال التالي: كيف أسهم كلاً من التجار والدولة في تنظيم الأسواق في غرب إفريقيا خلال الفترة 3–10هج/ 9–16م، وما هي الآليات التنظيمية التي اعتمدتها الممالك الكبرى في هذا الإقليم لضبط النشاط التجاري وضمان انسيابه داخل المنطقة وخارجها؟

- **تساؤلات البحث:** كيف تطورت التجارة في غرب إفريقيا خلال فترة البحث، وما العوامل الجغرافية والسياسية التي أسهمت في تشكيل طرقها وأسواقها؟ وما هو الدور الذي أداه التجار وخاصة المسلمون في تنظيم الأسواق وتطوير النظم الاقتصادية في غرب إفريقيا؟ وكيف أسهم تدخل الدولة عبر الحسبة والضرائب وحماية الطرق التجارية في استقرار النشاط التجاري وتطوره في غرب إفريقيا؟
- **أهداف البحث** تتمحور أهداف البحث في التالي: توضيح الإطار التاريخي لنشأة التجارة والعوامل الجغرافية والممالك الكبرى التي أسهمت في تشكيل الطرق التجارية وأنماط الأسواق. وتحديد دور التجار في تنظيم الأسواق، وبيان مساهمات التجار المسلمين في تطوير الممارسات الاقتصادية ونقل المعارف التجارية. كذلك تقييم دور الدولة في ضبط النشاط التجاري من خلال أدوات الإشراف وتأمين الطرق، وبيان أثر ذلك على استقرار التجارة وتطورها.
- **اهمية البحث:** تكمن أهمية هذا البحث في كونه يطرق موضوع لم تتطرق له الدراسات التاريخية العربية إلا بشكل عابر هو "دور التجار والدولة في تنظيم الأسواق بغرب إفريقيا خلال الفترة (3–10هـ/9–16م)"، ويحلل كيف ساهم التعاون بين التجار والدولة في ازدهار الأسواق وارتباط المنطقة بشبكات التجارة الدولية، مما يعمق فهم الديناميات الاقتصادية للحقبة موضوع البحث. وبتالي فان البحث يحاول سد فجوة في حقل الدراسات التاريخية لغرب–إفريقية، والتي تناولت تاريخ تجارة الصحراوية في هذا الإقليم، ولم تركز على هذا الجانب التنظيمي الداخلي المهم.
- **منهج البحث:** أعتمد البحث على المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المعطيات المتعلقة بالنشاط التجاري وتنظيم الأسواق في غرب إفريقيا من المصادر والمراجع، ثم مقارنتها وتحليلها للكشف عن طبيعة العلاقات الاقتصادية وآليات إدارة الأسواق خلال الفترة المدروسة.
- **الإطار المكاني والزماني للبحث:** الإطار المكاني للبحث هو منطقة غرب إفريقيا، وهو الإقليم الذي يمتد ما بين نهر النيجر في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب والصحراء الكبير في الشمال، والغابات

الاستوائية في الجنوب. أما الإطار الزماني فهو القرن 3–10هـ/ 9–16م، هي الفترة التي تعاقبت فيه على حكم هذا الإقليم إمبراطوريات الذهب الثلاثة العظمي غانا، مالي وصنغاي، وتوطدت فيها الصلات التجارية بين غرب إفريقيا وشمال الصحراء الكبرى، وتشكلت فيها طرق التجارة العابرة للصحراء، وتبلور فيها دور كلاً من التجار والدولة بصورة واضحة في تنظيم الأسواق التجارية.

عليه تم تقسيم البحث إلى ثلاث محاور وخاتمة.

المحور الأول: الإطار التاريخي لنشأة التجارة في غرب إفريقية وخصائص طرق التجارة:

تعود جذور النشاط التجاري في غرب إفريقيا إلى بيئة جغرافية متنوعة جعلت المنطقة مركزاً للتواصل الاقتصادي عبر التاريخ. فقد امتدت أراضي غرب إفريقيا من السواحل الأطلسية غرباً إلى الحدود الفاصلة للصحراء الكبرى شمالًا، وتوزعت بين مناطق السافانا الواسعة جنوباً، والسهول الزراعية والحقول النهرية المجاورة لنهرَي النيجر والسنغال (Skinner,1961, p 77-97 & Levtzion, 1973, pp. 1–5). وقد أتاح هذا التنوع البيئي نشوء تكامل اقتصادي طبيعي بين المناطق الشمالية التي تحتاج إلى المنتجات الزراعية، والمناطق الجنوبية الغنية بموارد الغابات والذهب، مما خلق أرضية خصبة لازدهار الأسواق التجارية الداخلية والإقليمية (Levtzion,1971 , pp. 21-22). وشكلت القوافل التجارية دوراً هاماً في ربط بلاد المغرب العربي بغرب إفريقيا تجاريا وثقافيا، عبر العديد من المسالك الصحراوية التي تمر بها القوافل التجارية التي نشأة في وقت مبكر من تاريخ المنطقتين وتطورت خلال فترة البحث، وكانت تحمل السلع والبضائع والمنتوجات المختلفة والكتب والرسائل وغيرها (Boahen et al. 1986,pp. 8-15). وقد تميزت هذه الطرق بخصائص عدة يمكن إجمالها فيما يلي:

1–شمولها معظم مناطق غرب إفريقيا

2–صلاحيتها لعبور المشاة والدواب، كما وصفها الرحالة الأوروبيون في القرون اللاحقة (بن موسى، 2000، ص 54).

3–تأمينها من قبل الحكام المحليين الذين عهدوا إلى الجنود والصيادين بحماية القوافل.

4–ارتباطها الوثيق بمراكز الأسواق، التي كانت تعد محور النشاط الاقتصادي في المنطقة (بن موسي،2000، 54)

كما شهدت فترة البحث بروز ممالك قوية أصبحت مراكز للتجارة الإقليمية والدولية، من أبرزها غانا (طراخان، 1390هج/1970م، ص 51–57)، والتي ازدهرت بسبب سيطرتها على مناجم الذهب ومسالك القوافل واسواق التجارة الصحراوية وخاصة أودغست (البكري،1992، ج1، ص 669). ثم مالي الإسلامية (طرخان، 1973، ص 64–105)، والتي صار لها ثقل سياسي واقتصادي كبير في غرب إفريقيا سيما بعد تأسيسها لبعض الأسواق المهمة مثل تادمكة أو "السوق" (الحميري، 1995، ص 128)،

والتي ذاعت شهرتها خلال فترة البحث ليس فقط كأحد أبرز الأسواق التجارية، بل كمركز تجمع حجاج غرب إفريقيا قبل انطلاقهم للأراضي المقدسة، مما عزز مكانتها الثقافية والعلمية ايضاً. ومع ظهور مملكة صنغي (زبادية، 1978، ص 1-9)، في القرن 10هج/16م، وسيطرتها على طرق التجارة الكبرى وشهدت الأسواق التجارية تحولاً هاماً في التنظيم كما سنذكر. هذه الممالك لم تكن في الواقع مجرد كيانات سياسية، بل كانت مؤسسات اقتصادية ذات أنظمة واضحة اعتمدت على الضرائب المفروضة على القوافل، وتأمين الطرق، وتنظيم الأسواق، مما عزز دورها في التجارة عبر الصحراء (كان، مرجع سابق، ص 134).

- **المحور الثاني:** الأسواق (أنواعها ودور التجار في تنظيمها، ومكانتهم في المجتمع)

أولاً. أنواع الأسواق: تنوعت الأسواق في غرب إفريقيا بين أسواق يومية وأخرى دورية تقام وفق نظام زمني صارم يختلف بين منطقة وأخري، فهناك أسواق كانت تقام كل يومين واخري كل ثمانية أيام أو أسبوع وأخري كل تسعة أيام (كما في جنوب كوت ديفوار ونيجيريا)، بينما انتشرت اسواق الأيام السبعة في جنوب غانا وشمال نيجيريا والسنغال (كان، 2019، ص 134). كما تميز المشهد التجاري في غرب إفريقيا بتنوع هيكلي في أنواع الأسواق. فإلى جانب التقسيم الزمني بين الأسواق اليومية الدائمة في المراكز الحضرية والأسواق الدورية، يمكن التمييز بين ثلاث فئات رئيسية وظيفياً وجغرافياً وهي:

1- الأسواق المحلية التي كانت تقام في دورة زمنية محددة وتخدم تجمعاً سكانياً محدداً، وكان دورها الأساسي تبادل الضروريات اليومية والمنتجات الزراعية والفائض المحلي (Hodder, 1969, p. 57)

2- الأسواق الإقليمية التي كانت تقام على مفترق طرق مهمة أو عند عتبات المدن الكبرى، وتفاوتت هذه الأسواق من حيث الحجم وتعقيد العمليات التجارية، (Hodder, Ibid, p.58) ، كانت مركزاً لإعادة توزيع السلع المحلية (مثل الحبوب والمنسوجات) وتجميع السلع الفاخرة (مثل جوز الكولا والذهب)، تمهيداً لتصديرها في شبكات التجارة الأطول مسافة كما جادل (Lovejoy 1986, pp.736-738)

3- الأسواق المتخصصة المتمثلة في قمة الهرم التجاري، وكانت غالباً مرتبطة مباشرة بعواصم الممالك أو مراكزها الدينية الكبرى، وتم تخصيصها لتجارة السلع عالية القيمة والاستراتيجية، وأبرزها: سوق الذهب، وسوق الملح (Bovill, 1995, p. 112) . هذا التنوع في الأسواق وتوافرها عبر أيام الأسبوع يمكن التجار من التنقل بينها طوال الأسبوع، مما خلق حركة تجارية نشطة سمحت بدمج التجارة المحلية بالإقليمية والدولية، كما شكلت هذه الأسواق جزءً من نظام تجاري منظم، استمر لاحقاً في الظهور بوضوح خلال الفترات الاستعمارية (Bovill, Ibid, p. 113).

- **ثانياً**. دور التجار المسلمين في تنظيم الأسواق في غرب إفريقيا: تمتع التجار في غرب إفريقيا بوضع استثنائي جعلهم قوى فاعلة في البنية الاقتصادية لمجتمعات البحث لا مجرد ناقلين للسلع. ففي إمبراطورية غانا مثلاً كان التجار من قبائل الماندينغ يشكلون النخبة التجارية التي كانت تدير تجارة الذهب من المناجم نحو شبكات التجارة العابرة للصحراء، وضبطوا أسعاره بعيداً عن مراكز الإنتاج للحفاظ على قيمته وندرته، وقد توسع نفوذهم ليشمل تنظيم القوافل وتأمينها ورسم خرائط موارد المياه، مما جعل التجارة الصحراوية المنظمة ممكنة(Levtzion & Hopkins, 2000, p. 22) . وبفضل هذه الشبكات التجارية، تحولت المحطات التجارية إلى أسواق كبرى كأوداغست، الواقعة على مسيرة خمسة عشر يوماً من غانا، والتي وصفها البكري (1992، ج2، ص 669)، "بسوق الصحراء" كان يسكنها أثرياء التجار ويأتيها التجار من مختلف الأصقاع، والتي اصبحت نموذجاً لتحول السوق إلى مركز حضاري وسياسي. واستمر هذا النموذج في ظل إمبراطورية مالي ثم صنغي، حيث تولى التجار في مراكز تمبكتو وجني وقاو إدارة الحكم المحلي وتنظيم الجباية الجمركية داخل الأسواق (العمراني، 2021، ص 144). وقد أشار الإدريسي (2000، ج2، ص 58)' إلى ضخامة النشاط التجاري في تمبكتو وكثرة التجار الوافدين إليها· وهكذا، كان التجار منظمين للسوق بامتياز، حيث نظموا العرض والطلب، وأداروا العملات كالملح والذهب، وفرضوا الرسوم المناسبة عليها، مما ضمن استقرار وازدهار الاقتصاد الإقليمي لفترة طويلة. لقد كان النشاط التنظيمي الذي يقوم به التجار في الأسواق هو العمود الفقري الذي حافظ على استمرارية التبادل التجاري بين غرب إفريقيا والعالم المتوسطي.
- **ثالثاً**: المكانة الاجتماعية والاقتصادية للتجار في غرب إفريقيا

احتل التجار في مجتمعات غرب إفريقيا خلال فترة البحث مكانة مرموقة جعلتهم بمثابة "العمود الفقري" لاقتصاد الإمبراطوريات الكبرى، حيث تجاوز دورهم الاقتصادي المحض ليشمل نفوذاً اجتماعياً وسياسياً كبيراً تمثل في: **أولاً**. الهيمنة الاقتصادية والاحتكار التجاري، حيث كانت ثروة الممالك وإيراداتها تعتمد بشكل أساسي على التجارة العابرة للصحراء، وقد هيمن على هذه التجارة مجموعات تجارية متخصصة، ففي زمن إمبراطورية غانا، كانت الهيمنة للتجار الصنهاجيون (الملثمون)، الذين تولوا تنظيم هذه التجارة، وسيطروا على نقل الذهب من مناطق الإنتاج في الجنوب نحو الشمال، مقابل استيراد سلع أساسية كالملح والنحاس والمنسوجات الفاخرة (Hunwick, 1999, p.70) .وحسب الإدريسي (2000،ج2، ص60)، فقد كان غانا يتدخل في التحكم في تجارة الذهب ووضع القوانين لاستخراجه لضمان استقرار قيمته وندرة العرض، مما يعكس تداخل السلطة السياسية في النشاط التجاري. وفي زمن إمبراطورية مالي برز تجار الونقارا، كقوة تجارية كبري في غرب إفريقيا وأسسوا شبكات ائتمان ومعاملات مالية امتدت عبر الصحراء، ومولوا القوافل الضخمة، وقد منحهم هذا الوضع الاحتكاري ثروة طائلة جعلتهم شركاء اقتصاديين أساسيين

للحكام خلال عهدي مالي وصنغي(Hodder, Ibid, pp.25-30) **ثانياً**. النفوذ الاجتماعي والسياسي، حيث تحولت الثروة الاقتصادية إلى نفوذ اجتماعي وسياسي ملموس، ففي المدن الحضرية الكبرى التي نشأت على تقاطع طرق التجارة، مثل تمبكتو وقاو وجني شكل التجار الأثرياء نخبة حضرية مؤثرة في الحياة الاجتماعية السياسية، حيث يوكد ابن بطوطة (2014، ص 421)، أثناء زيارته لعاصمة مالي، إن السلطان منسي سليمان كان يستشير في كبار التجار ويحترم آراءهم، قائلاً: "وللتجار عندهم حظوة عظيمة"، ولعب كبار التجار دوراً دبلوماسياً هاماً في تمثيل مصالح مملكتهم. وفي المقابل، قام التجار المسلمين من شمال إفريقيا ايضاً بدور سياسيا واقتصاديا وحضارياً في غاية الأهمية في حضارات غرب إفريقيا، ففي غانا، كان تراجمت الملك وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه من التجار المسلمين، وعن طريقهم أنتشر الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية في بين مجتمعات هذا الإقليم، واليهم يرجع الفضل في إقامة المدارس والمساجد في معظم المدن التي تحولت إلى أسواق تجارية وحضارية (السويدي، 2024، ص 55-56).

- **المحور الثالث:** تنظيم الأسواق (أساليب التنظيم، وأثر التجار المسلمين في تطور النظم الاقتصادية الغرب إفريقية)

أولاً. أساليب التنظيم: اعتمدت الممالك التجارية في غرب إفريقيا على اساليب متنوعة لتنظيم الأسواق، تجمع بين الأعراف المحلية ومبادئ الفقه الإسلامي، مما ضمن سلاسة وموثوقية التبادل التجاري عبر مسافات شاسعة، واهم هذه الأساليب: -أولاً: أنظمة القياس والوزن الموحّدة: اعتمد التجار على وحدات قياس موحدة تسهل تبادل السلع، فكان المثقال وحدة وزن الذهب، بينما استخدم الرطل لوزن المواد الأخرى كالملح والنحاس، ويوزن التمر بالجمل (الدالي، 1999، 337). وحسب (Mauny 1961, p.402)، فان دقة الموازين في مدينة تمبكتو كانت تخضع لمراقبة صارمة من قبل المحتسب، تماشياً مع مبدأ الحسبة الإسلامية التي تحرم الغش في الكيل والميزان.

ثانيًا: المحاسبة والائتمان: لتقليل مخاطر نقل النقود عبر الصحراء، ابتكر التجار نظام مالي قائم على الثقة الائتمانية، وكانت السفتجة (الحوالة أو الصك) هي الأداة الرئيسية، التي تسمح بنقل القيمة دون نقل العملة المعدنية، هذه الأداة المالية المتقدمة مكنت التجار من بناء شبكات مالية واسعة تربط بين مراكز تجارية مختلفة مثل تمبكتو والقاهرة وفاس.

. (Lovejoy.1974, p.527)

ثالثًا: فض النزاعات: لضمان الاستقرار وحل المنازعات، أنشئت ممالك غرب إفريقيا محاكم تجارية، وكان القضاة غالباً من فقهاء المذهب المالكي من ذوي الخبرة التجارية أنفسهم، والذين يعتمدون في

أحكامهم على نصوص فقهية، خاصة في قضايا البيوع والشركات والوكالة التجارية (Bovill, 1968, pp.91-94)

ثانياً. أثر التجار المسلمين في تطوير النظم الاقتصادية لغرب إفريقية ونقل المعارف

لم يقتصر دور التجار المسلمين على التبادل المادي للسلع مع مجتمعات غرب إفريقيا، بل نقلوا من خلال شبكاتهم التجارية العابرة للصحراء الحضارة الإسلامية وأنظمتها الاقتصادية المتطورة وعلومها ومعارفها. حيث أدخل التجار المسلمون مفاهيم ونماذج مؤسسية ساهمت في تطوير الاقتصاد المحلي، والتي من اهمها نموذج السوق الإسلامية المنظمة، والتي كانت أروقتها تتخصص في بيع سلع محددة كسوق النحاس وسوق الكتب، وسوق الملابس، وسوق العطارين، وسوق الملح، وسوق الجلود وغيرها من الأسواق التي رصدها الوزان (1983، ص 166)، خلال تجوله في أسواق مجتمعات البحث في القرن 10هج/16م. الأمر الذي أسهم في تنظيم الأسواق وتطورها. كما أدخل التجار المسلمون لغرب إفريقيا نظام مرافق الإيواء والتخزين مثل الخانات التي كانت بمثابة مراكز تجارية وشبكات اتصال (Bovill, 1968, pp 79–85)، وفي المجال النقدي روج التجار لاستخدام الدينار الذهبي والدرهم الفضي كوحدات حسابية لتقييم السلع، حتى في المناطق التي لم تسك فيها العملة محلياً، مما وحد المعايير التجارية لغرب إفريقيا مع العالم الإسلامي (Levtzion, 2000, pp. 126–127). وفي المجال الثقافي والحضاري لعب التجار دوراً هاماً في نشر اللغة العربية كلغة للتجارة الرسمية، والعلم، والدبلوماسية، والإدارة، وأدخلوا نظام الكتابة العربية، الأمر الذي سهل التوثيق التجاري والقانوني والإداري، وحفظ السجلات التاريخية، يؤكد ذلك ما ذكره الجغرافي البكري (1992، ج1، 175) ، عن وجود كتب ومخطوطات في بلاط ملك غانا باللغة العربية. كما شكل التجار وعائلاتهم جسراً ثقافياً واجتماعياً بتقبلهم لبعض التقاليد المحلية والزواج من النساء غرب إفريقيا، مع المحافظة على هويتهم الإسلامية، مما خلق طبقة نخبوية حضرية جديدة متعددة الثقافات داخل مجتمعات هذا الإقليم (السويدي، مرجع سابق، ص55–56، والصافي، 2019، ص18–24).

المحور الرابع: دور الدولة في تنظيم الأسواق (والعلاقة التبادلية بين الممالك والتجار)

لقد كان التدخل المؤسسي لضبط النشاط التجاري في الأسواق وضمان استقراره، أساس ازدهار ممالك غرب إفريقيا، وقوة هذه الممالك اعتمدت على قدرتها على "خلق شروط الاستقرار والأمن التي سمحت للثروة بالتولد والتراكم، والمقصود بشروط الاستقرار هنا دور الدولة في تنظيم الأسواق والذي كان في الواقع يتجاوز مجرد تحصيل الضرائب إلى هندسة بيئة اقتصادية آمنة ومنظمة، توضحها الإجراءات التي اعتمدت عليها هذه الممالك في تنظيم النشاط التجاري في الأسواق وادوات تنفيذها التي تتمثل: في

الإشراف المباشر على الأسواق. وتأمين الأسواق التجارية. وإدارة العلاقة التبادلية مع النخب التجارية، وفيما يلي عرضاً لأدوات تنفيذ هذه الإجراءات.

أولاً: الإشراف المباشر على الأسواق وأدوات التنفيذ (الرقابة المؤسسية على الأسواق)

اعتمد الدور المؤسسي على أطر تنظيمية مستمدة من التقاليد المحلية والشريعة الإسلامية لإدارة الاقتصاد ومنها؛ نظام الحسبة المعروف بمسمى الرقابة على السوق، حيث أدخل الإسلام منصب المحتسب (المعروف محلياً أحياناً باسم صاحب السوق)، وقد وصف الرحالة ابن بطوطة (2014، ص 424)، فعالية هذا النظام في مالي، حيث لاحظ دقة الموازين وصراحة التعاملات في الأسواق. وقد اهتمت ممالك غرب إفريقيا بوظيفة صاحب السوق، وعرف في عهد الصنغى باسم "باركي فارم" وفي فترة حكم أول سلاطين الصنغي أسيكيا الحاج محمد، أوكل هذه المنصب لأبن حاكم ضاحية دندي ويدعى بكر الزغراني، وكانت مهامه تشمل مراقبة المكاييل، ومنع الغش، وفض المنازعات البسيطة بين التجار، مما ضمن نزاهة المعاملات اليومية وسيادة الأمن والاستقرار في الأسواق. وجباية الضرائب، شكلت الضرائب التجارية العمود الفقري لإيرادات الدولة، ومن اهم الضرائب التي كانت تجبي من التجار ضريبة الجمارك التي تفرض على البضائع الواردة، التي يأتي بها تجار شمال إفريقيا، وقد اشار البكري خلال زيارته لمدينة أوداغست، أن التجار القادمين الذين يصلون لمملكة غانا كانوا يدفعون ضريبة للسلطة، فان ملك غانا فرض إجراءات مشددة على استخراج والذهب وعلى التجارة فيه، وذلك لضمان السيطرة المركزية على هذه السلعة الثمينة، كما سيطرت جميع الممالك في غرب إفريقيا على تجارة سلع أخري حيوية مثل الملح والنحاس، لتوجيه العوائد لهذه الممالك وضمان الاستقرار والاقتصادي في مجتمعاتها (كعت، 2014، ص 110، وغرياني ، 2022، 22–35)

ثانياً: تأمين الأسواق التجارية : ارتبط ازدهار النشاط التجاري في الصحراء بتأمين المسالك العابرة لها، ولصعوبة فرض سيطرة مباشرة ودائمة على هذا المجال الجغرافي الواسع، لجأت ممالك غرب إفريقيا إلى بناء تحالفات استراتيجية مع القبائل الصحراوية ذات النفوذ القوي، وفي مقدمتها برير صنهاجة والطوارق، والذين قاموا بدور أساسي في إرشاد القوافل التجارية وتأمين وحماية الأسواق التي تقع في نطاق سيطرتهم، نظير الحصول على نصيب من العائدات التجارية أو امتيازات اقتصادية معينة (Hunwick,2003, pp.112-114, & Insoll, 2003, pp 311-312). كما شكلت مكانة هذه الممالك ونفوذها عامل ردع أساسي ضد الاعتداء على القوافل التجارية التابعين له (Bovill, 1968, pp. 70)، إلى جانب ذلك، عملت السلطات على إنشاء وصيانة محطات القوافل والخانات، وحفر الآبار على الطرق التجارية الرئيسة، الأمر الذي أسهم في تقليص المخاطر العملية، وساعد على اتساع شبكة المبادلات التجارية

ثالثاً: العلاقة التبادلية بين الممالك والتجار: كانت العلاقة بين السلطة السياسية في ممالك غرب إفريقيا والنخبة التجارية علاقة تعاقدية تبادلية، تقوم على المنفعة المتبادلة. قدم التجار للدول الخبرة اللغوية والإدارية والاقتصادية، والخدمات المالية، والإيرادات الضريبية، وفي المقابل، وفرت هذه الممالك الإطار القانوني والأمني والاستقرار السياسي للتجار، لذلك، اندمج التجار بشكل مؤسسي في دولة صنغي، حيث شغلوا مناصب رسمية مثل "أمين الصحراء" للإشراف على التجارة مع الشمال، و"مفتش الأسواق" (Bovill, 1968, pp. 93 & Levtzion, 2000, pp 140) ولم تخلى هذه العلاقة التجارية من التوتر لعدة أسباب منها سعى السلطات في الممالك المختلفة لزيادة الضرائب على التجار، الذين كان يرفضون هذه الزيادات ويسعون للحفاظ على حيز من الاستقلالية. كما إن الانفلات الأمني في فترات ضعف السلطة المركزية لممالك غرب إفريقيا يؤدي إلى عمليات سطو على الأسواق والقوافل التجارية من قبل قطاع الطرق، فيخسر التجار متاعهم وبضائعهم واموال ويقل تبعاً لذلك النشاط التجار في الأسواق، حيث يؤكد السعدى (1964، ص 175) إن انهيار مملكة صنغي في نهاية القرن 10هج/16م، سبب في تراجع النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها، ونقصت البضائع المختلفة في أسواق غرب إفريقيا.

* **الخاتمة:** يتضح من تتبع مسار دور التجار والدولة في تنظيم الأسواق في غرب إفريقيا خلال الفترة الممتدة بين القرنين 3-10هـ/ 9-16م، أن ازدهار الأسواق التجارية لم يكن محصلة لعوامل اقتصادية محضة، بل جاء نتيجة تفاعل بين المعطيات الجغرافية، والسلطة السياسية، ودور التجار المحليين والمسلمين على السواء. فقد وفرت الخصائص الجغرافية للمنطقة، بما تضمه من طرق صحراوية رئيسة ومجالات نهرية، الأساس المادي لنمو الحركة التجارية، في حين أسهمت الممالك الكبرى، مثل غانا ومالي وصنغي، في تحويل هذه المسالك إلى شبكات تجارية متكاملة من خلال إقرار الأمن، وإنشاء المراكز الحضرية، وتنظيم الموارد والعوائد الجمركية. كما أبرز البحث أن التجار لم يقتصر دورهم على نقل السلع، بل كتنوا فاعلين مؤسسيين أسهموا في تنظيم الأسواق، ووضع نظم دقيقة للقياس والوزن والمحاسبة، إلى جانب نشر أخلاقيات التجارة الإسلامية التي عززت الثقة في المعاملات. وأسهم التجار المسلمون بوجه خاص في تداول المعارف، وربط المنطقة بالفضاء الاقتصادي والثقافي للعالم الإسلامي. ومن جهة أخرى، كان الدور المؤسسي للدول محوري في ضبط الإيقاع الاقتصادي عبر تطبيق نظام الحسبة، وفرض الضرائب الجمركية، ومراقبة السلع الاستراتيجية، وتأمين الطرق التجارية الداخلية والصحراوية. وقد أسفر هذا التفاعل بين السلطة والتجار عن قيام منظومة تجارية مستقرة، قائمة على المصالح المتبادلة، أفضت إلى تحقيق توازن اقتصادي وسياسي مكن غرب إفريقيا من الحفاظ على موقعها ضمن شبكات التجارة العابرة للصحراء لعدة قرون. وانطلاقًا من أهداف الدراسة، تم التوصل إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

- أن الخصائص الجغرافية لغرب إفريقيا، ولا سيما موقعها الوسيط بين مناجم الذهب في الجنوب والمراكز التجارية في شمال إفريقيا، شكلت عاملًا حاسمًا في نشأة وتطور طرق التجارة العابرة للصحراء.
- تنوعت الأسواق بين محلية وإقليمية ودولية، وشكلت الأسواق الدورية والمتخصصة عناصر أساسية ضمن نظام اقتصادي متكامل ومتعدد المستويات.
- حظي التجار بمكانة اجتماعية واقتصادية مرموقة في المدن التجارية الكبرى، مما مكنهم من أداء دور محوري في قيادة النشاط الاقتصادي.
- أسهم التجار المسلمون في إدخال نظم دقيقة للقياس والوزن والمحاسبة، واستخدموا أدوات مالية مثل السفتجة، الأمر الذي ساعد على ترسيخ اقتصاد قائم على الثقة العابرة للحدود.
- شكل التجار قنوات معرفية فاعلة لنقل العلوم، وأسهموا في انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وبناء المدارس والمساجد والمكتبات.
- مارس الدور المؤسسي للدول آليات متقدمة للإشراف على الأسواق، من خلال الحسبة، وتنظيم المقاييس والمكاييل، وفرض الضرائب الجمركية، واحتكار بعض السلع الاستراتيجية.
- بين البحث علاقة تكاملية بين السلطة والتجار، حيث عد التجار جزء من الجهاز الإداري، وتولوا مناصب رسمية، مثل مفتش السوق وأمين الصحراء، مما عزز الاستقرارين الاقتصادي والسياسي.
- كشف البحث عن وجود توازن دقيق بين السلطة والتجار، إذ كان ضعف الدولة يقترن بازدياد نفوذ المراكز التجارية، والعكس، وهو ما يبرز أن ازدهار التجارة ظل مرتبطًا في آن واحد بقوة الدولة وتماسك شبكات التجار.
- **قائمة المصادر والمراجع**

Levtzion, Nehemia, Ancient Ghana and Mali. New York: Africana,1973.

جوان، جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، 1981.

الإدريسي، الشريف. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. دار صادر، 2002.

كان، مامودو. الأسواق ووسائل المعاملات التجارية ما بين ضفتا الصحراء (5-10هـ / 11-16م)، مجلة كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد الثالث والأربعين، مارس 2019م.

Church, R. J. Harrison, Ronald. James. West Africa: A Study of the Environment and of Man's Use of it. New York: Longmans, etc; fifth edition, 1966, p. 22 and Levtzion, Nehemia. The early stages of the Western Sudan to 1500", in History of West Africa, ed. J. T. Ajayi and Mechael Crowder, Vol.1 (London: Longman Group Ltd, first edition), 1971.

Skinner, E. P. “West African Economic System.” In Economic Transition in Africa, ed. M. J. Herskovits and M. Harwitz, 77–97. Evanston, IL: Northwestern University Press, 1961.

Boahen, A. Adu; Jacob, F; Ajayi Ade and Tidy, Michael. Topics in West African History. London: Longman; second edition, 1986.

بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي9-11م، رسالة ماجستير، منشورة في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، 2000.

للمزيد عن هذه المملكة أنظر، طرخان، د. إبراهيم، إمبراطورية غانا الإسلامية، نشر، الهيئة العامة المصرية للتأليف والترجمة، وزارة الثقافة، جمهورية مصر العربية، 1970/1390م، 51-57).

أحد أكبر واهم اسواق غانا في فترت توسعها، سكنها مزيج من العرب والمغاربة والسوننك والبربر خاصة جدالة ومسوفة أكبر قبائل صنهاجة، والتي كان لها السيادة والسلطة فيها، للمزيد عنها راجع البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت.487هج/ 1094م)، المسالك والممالك، حققه وقدم له، ادريان فان ليوفن واندري فيري، نشر، الدار العربية للكتاب والمؤسسة للترجمة والتحقيق والدراسات، 1992.

للمزيد عن هذه المملكة انظر، طرخان، د. إبراهيم، دولة مالي الإسلامية، نشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

للمزيد عن هذه المدينة راجع، الحميري، محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1995.

للمزيد عن هذه المملكة أنظر، زباديه، عبد القادر، ملكة صنغي في عهد الأسقيين (1491-1593م)"، مجلة الأصالة الجزائرية، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم والشؤون الدينية، العدد، 58-59، يونيو (1978).

-Hodder, B. W., & Ukwu, U. I. Markets in West Africa: Studies of markets and trade among the Yoruba and Ibo. Ibadan University Press, 1969.

Lovejoy, P. E. Salt of the desert sun: A History of salt production and trade in the central Sudan. Cambridge University, press, 1986, pp. 736-738

-Bovill, E. W. The golden trade of the Moors: West African kingdoms in the fourteenth century. Markus Wiener Publishers, 1995.

Levtzion, Nehemia, & Hopkins, J.F.P. (Eds.), Corpus of Early Arabic Sources for West African History, Princeton: Markus Wiener Publishers, 2000.

العمراني، محمد، التجارة والحضارة في غرب إفريقيا خلال العصور الوسطى، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2021.

Hunwick, John O. Timbuktu and the Songhay Empire: Al-Saʿdi's Taʾrīkh al-Sūdān down to 1613 and other Contemporary Documents. Leiden: Brill, 1999.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد (779هج/1377 م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق، محمد عبد المنعم العريان، وراجعه واعد فهارسه، الأستاذ مصطفى القصاص، نشر دار أحياء العلوم، بيروت.

السويدي، عبد الله، دور التجارة في نشر الإسلام في إفريقيا خلال العصر الوسيط. مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات والاجتماع (109)، 2024.

الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الطبعة الأولى، نشر، الدار المصرية اللبنانية، 1999م.

Mauny, Raymond. Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Âge, d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie. Dakar: IFAN, 1961, p 402.

Lovejoy, Paul E. ong-Distance, Trade and Islam: The Case of the Nineteenth-Century Hausa Kola Trade, Journal of African History, 15 (4) , 1974.

Bovill, E. W. The Golden Trade of the Moors (2nd ed.). London: Oxford University Press, 1968.

الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2، 1983م.

الصافي محمد، أسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافي مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط، العدد 36، 2019م.

كعت، محمد بن الحاج المتوكل الكرمني، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس، ط1، مؤسسة الرسالة اشرون، دراسة وتعليق، أدم بومبا، 2014م، 110، وغرياني، د. بطل شعبان محمد، النظم الاقتصادية في الممالك الإفريقية مملكة الصنغي نموذجاً، مجلة قراءات تاريخية، السنة الثامنة عشر، العدد (54)، أكتوبر، 2022م، ربيع الأول 1444هج.

Hunwick, John O. Timbuktu and the Songhay Empire: Al-Saʿdi's Taʾrīkh al-Sūdān down to 1613 and other Contemporary Documents. Leiden: Brill, 2003, and Insoll, T. The archaeology of Islam in sub- Saharan Africa. Cambridge University Press, 2003.

– السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحقيق وتقديم: عمر النقر، باريس: أدريان–ميزونوف، 1964.